

بأمر القلب وحده .. قلوبنا تنبض



د. أميمة خفاجي

أستاذ الهندسة الوراثية
جامعة العريش

القلب وعبونه .. مدرسة حربية كاملة .. وجيش .. وفرق لتصنيع الأسلحة داخلنا .. عندما تفقد الخلايا وعيها وذاكرتها .. تنشأ حرب أهلية داخلنا .. غيبوبة عميقة .. وليست موتاً إكلينيكيًا .. مدرسة حربية كاملة .. وجيش .. وفرق لتصنيع الأسلحة داخلنا .. عندما تفقد الخلايا وعيها وذاكرتها .. تنشأ حرب أهلية داخلنا .. غيبوبة عميقة .. وليست موتاً إكلينيكيًا ..

(نقل القلب يغير صاحبه)
كان يظن العلماء قبل زراعة القلب أن القلب مجرد مضخة، مضخة الدم، تضخ في اليوم الواحد ثمانية آلاف لتر، لكن بعدما زرع القلب، ظهرت حقائق جديدة، فتغير بعض سلوك ورغبات الذين زرع لهم قلب آخر. فزرع قلب شاب لرجل مسن، غير بعض رغبات المتقدم في السن وأصبحت هي رغبات صاحب القلب المنقول. (القلب ليس فقط مركزاً للمشاعر)
علمياً تتبدل خلايا الإنسان كل خمس سنوات تبدلاً كلياً، من أقصر خلية وحتى أطولها، فيطانة الأمعاء الداخلية الدقيقة تتجدد كل ثمانية وأربعين ساعة، وأطول خلية هي الخلية العظمية، تتبدل كلياً كل خمس سنوات، يعني الكل يتجدد كل خمس سنوات إلا المخ.. لماذا؟
لأنه لو تبدل المخ لذهبت كل المعلومات المخزنة فيه، فنفسى أولادنا، ونفقد الذاكرة، وتذهب معه خبراتنا ومعلوماتنا، فكل حياتنا خبرات ومهارات متراكمة، كل حياتنا ذكريات، فالخ لا يتبدل. وهذا من نعم الله علينا ومن آيات ومعجزات الله فينا.
كما قال المولى عز وجل:
(سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ نَتَّبِعَنَّهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) (فصلت: ٥٢).
(هل القلب يعقل ويفقه؟ ١٩).
يقول الله عز وجل:
(لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا) (الحج: ١٧٩)
كان يظن أن القلب مضخة فقط، لكن اكتشف أخيراً أن القلب هو الذي يعقل فضلاً عن كونه مركزاً للمشاعر والأحاسيس، ففيه خلايا عصبية تأمر خلايا المخ (الدماغ)، بل إن خلايا القلب العصبية تفوق قدراتها أضعاف قدرات خلايا المخ بخمس مئة مرة، إذن فهو المهيمن على المخ، وهو الذي يأمره. ولذلك كان تعبير لفظ القرآن بمنتهى الدقة والبلاغة في:
(كَلَّا بَلْ رَأَوْا عَلٰى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ). (المطففين: ١٤).
فلم يقل المولى جل شأنه ران على عقولهم أو مخهم أو أدمغتهم بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.
ويقول المولى عز وجل عن أمراض النفس:
(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) [البقرة: ١].
فالعقل الحقيقي في القلب، ولذلك قال تعالى: (أَلْقَمُ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَعْلَمُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) [الحج: ٤٦].
(القلب وعبونه) يقول الله سبحانه وتعالى:
(فَاتَّبَعْنَا لِمَتَىٰ أَلْبَسْنَا وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ). [الحج: ٤٦].
تعمى بصيرة القلب، لأن القلب هو مركز الوعي والفهم والحكم، فالعمى في القلب أخطر من عمى الأبصار.
ويقول الإمام علي (عليه السلام): «من عشق شيئاً أعشى بصره، وأمراض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأذن غير سمعية. قد خرفت

الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه» (نهج البلاغة).
(مدرسة حربية داخلنا)
أما لماذا القلب لا يتبدل؟
إلى جانب القلب تسمى «التيموس»، كان يُعتقد أن هذه الغدة لا وظيفة لها، لأنها تضمر بعد عامين ضموراً كلياً، ثم اكتشف أنها أخطر غدة في الجسم، ولها علاقة بجهاز المناعة والمدرسة الحربية الموجودة داخلنا فرقة كاملة لتصنيع السلاح المناسب لكل عدو يفزونا ومعرفة وتفرقة الحبيب من العدو.
(الخلايا الجاهلة)
وعندما يجهل البعض وظيفة عضو ما يعلن: إنه لا وظيفة له، فيجب أن نصح مفهومنا ونعلن جهلنا وأن الله لم يخلق شيئاً ما عبثاً ونعترف باننا لم نكتشف وظيفته بعد.
كما قال الله تعالى:
(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) (الانبيا: ١٦)
فاكتشف أن هذه الغدة أخطر غدة على الإطلاق، غدة «التيموس» التي تدخلها الكريات البيضاء التي لم تعرف بعد كيف تفرق بين الخلايا العدو من الصديق، فتبقى وتظل في هذه الغدة لفترة عامين، عامين فقط تتلقى فيهما الدروس، لتتعلم كيف تفرق بين الصديق والعدو.

وبعد تعلم هذه الكريات البيضاء سلاح المناعة المكتسب تتخرج، لتصبح مهمتها تعليم الأجيال التالية، والإنسان بعد بلوغه من الكبر عتياً وأصابه الكبر. فالكبر إصابه كما ذكر الله تعالى:
(وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) (مريم: ٨)
(وأصابه الكبر) (البقرة: ٢٦٦)
يضعف عنده التعليم، لماذا؟
(الخرف المناعي)
تنشأ حالة اسمها الخرف المناعي، لأنه إذا فقدت الخلايا السيطرة والتحكم في عملها المنتظم، يضعف هذا الجيش المناعي ليفقد قدرته على التفرقة بين عدوه وصديقه ويصاب بحالة من العشوائية والتخبط وعدم الوعي، فتنشأ حرب أهلية بالجسم، هناك جيش قوى لكن معلوماته ضعفت، وفقد السيطرة على وظيفته الأساسية فصار يقاتل نفسه قطعاً هي حرب أهلية بكل معانيها.

(بأمر القلب وحده .. قلوبنا تنبض)
لكن كيف علم أن القلب يهيمن على المخ؟
كان يظن في الماضي أن القلب ينبض بأمر من المخ، لكن ثبت علمياً أنه في إحدى عمليات زراعة القلب، زرع القلب ونبض والمخ مخدر، ولم يصح بعد، وبالرغم من ذلك نبض القلب، نبض وحده، فعلم أن القلب لم يتلق أى أوامر، وأنه نبض من ذاته فالقلب محاط بخلايا عصبية



القلب



تأمر خلايا الدماغ.
(يوجد غيبوبة عميقة ولا يوجد موت إكلينيكي)
ومن هنا كانت الوفاة الشرعية هي وفاة القلب وليس المخ، فقد يتوقف المخ ويفقد الإنسان وعيه وذاكرته وكل شيء، ويدخل في غيبوبة عميقة التي عبثاً يطلقون عليها «الموت الإكلينيكي» لكن ليس هناك موت ولا غيره، وكل ما في الأمر أن المخ يتوقف لكن القلب مازال ينبض ويضخ الدماء.

ومما لا شك فيه أن هناك ارتباطاً بين القلب وبين الجسم وهو إذا توقف القلب توقف بوقفه كل شيء حتى المخ، أما إذا توقف المخ فلا يتوقف القلب.
«فقد يخطئ العلم ويصيب أما إذا اقترب من الدين فقد أصاب»

(القلب في العقيدة المصرية القديمة)
والمدش، أنه في البردية الجنائزية كما في كتاب الموتى يحاسب الأموات بوزن قلوبهم فيوضع قلب الميت في إحدى كفتي الميزان مقابل ريشة (ترمز إلى العدالة) في الكفة الأخرى.. وتواصلت فكرة المحاكمة وتحقيق العدالة في العالم الآخر في العقائد المصرية القديمة بوزن القلوب.

(القلوب القاسية)
ولكل ذلك يوجد بالفعل قلوب بيضاء وأخرى سود .. فالقلب يستجيب لكل انفعالاتنا فتتلاحق نبضاته عند الفرح والبهجة .. ويضطرب ويرتجف عند الحزن والخوف والفزع .. ليس ذلك وحسب .. بل هناك قلوب هادئة .. مطمئنة .. سليمة .. وقلوب متقلبة متحولة متغيرة .. قاسية لا تعرف الرحمة ..
(وجعلنا قلوبهم قاسية) (١١٣ المائدة: ١٣)
(فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ). (الزمر: ٢٢).
مُبيناً .. غافلة .. مريضة ..

وعن القلب السليم: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ) ٨٨
إلا من أتى الله بقلب سليم) (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) سورة البقرة: ١٠٠
وعن القلوب المطمئنة: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: ٢٨].